الفصل الثاني

لمحات من تجارب ثورية في العمل التنظيمي السري ورؤية الجبهة الشعبية

مقدمة

ثمة أساس للقول إن خبرة العمل الثوري السري هي أغنى بما لا يقاس من الشذرات التي كتبت عنها، علاوة على أن البحث عن هذه الشذرات هو أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش. فالعديد من الحركات الثورية طغت السرية على مسيرتها عقوداً وعقوداً، غير أن ما وثّق عن هذه التجارب هو "أفقر من فأر الكنيسة"، مجرد عبارة هنا أو صفحة هناك، علماً أنها سطرّت مجلدات في أرض الواقع. فعلى سبيل المثال المقاومة السرية الفرنسية ضد النازية، أو الحزب الشيوعي الصيني، أو جبهة التحرير الجزائرية، أو الحركات القومية واليسارية الهندية، أو حركة التاميل أو التجارب السرية في العراق، أو الدرب المضيء في البيرو...

من ناحية "العلم النظري" يمكن الاعتقاد أن هناك قوانين عامة للتاريخ البشري وتشابهات في المراحل والظروف التي تمر بها الشعوب، الشيء الذي يوجب استخلاصات عامة مرشدة للعمل الثوري، مثلما هناك الخاص الملموس المرتبط بالشروط الموضوعية لكل شعب ومرحلة، بما يوجب القبض عليها أيضا، أي ثمة العام والخاص في آن.

ومن هنا لم تبدأ تجربة الجبهة الشعبية في الأرض المحتلة من الصفر، بل اختزنت بعض خبرات ودروس من تجارب أخرى، وهناك مفاصل في الجبهة الشعبية اطلعت بهذا القدر أو ذاك على تلكم التجارب، بما ترك أثراً على عقل الجبهة وبراكسيس/ها، فهي قد استفادت من تراث من سبقها، وأكثر ما تأثرت به هو التاريخ والتجارب العربية مما يستوجب استدعاء بعض الخلاصات، ناهيكم عن جذورها في حركة القوميين العرب، وحضور هذه الجذور في مسيرتها، سيما أن معظم قياداتها في العقدين الأولين قد انحدروا من القوميين العرب.

وفي الاستعراض المكثف لسلسلة النماذج، إنما سعت الرسالة لإبراز النقاط ذات الصلة بعمل الجبهة، بل وسوف يشار لإضاءات كان لها طابع توجيهي بما يتجاوز المعرفة إلى مستوى الإرشاد، على أن يفهم ذلك ضمن مساحته، فالمساحة الأكبر كانت للتجريب، وارتبطت بمستوى وطباع ومزايا العقل القيادي وقدرته على فهم الخاص والملموس، ليس فقط لأن حبش ردد مرات (الذي